

في سورة الدّٰرِ

تفسير البسملة في سورة يس

الأستاذ المحقق الشيخ طنطاوي الجوهري

اعلم أن العوالم التي نعيش فيها تجري على وتيرة واحدة وأسلوب خاص لا يتغير ، وذلك أنك ترى اليوم يولد بشروق الشمس ويظهر ضحاى ، يشتد وقت الزوال ويضمف وقت العصر وينقضى وقت الغروب . هكذا السنة فلها ولادة إذا حل الربيع وتزلت الشمس برج الحمل وأخذت الحياة تدب في الأرض وذاب الثلج ودبت الحشرات وأنبعثت من حراقتها وقامت الزواحف من نومها وسعت الحيات لحياتها وأورقت الأشجار وأزهرت الأغصان وأثمرت الحدائق وأخذت الأرض زخرفها وزينت .

فإذا حلت الشمس برج السرطان فهناك يأخذ النهار في القصر والليل في العلول وتصبح النار وتكون الدنيا أشبه بامرأة كاملة تسكلاً أبناءها وتحفظ صغارها وتمطف عليهم وهم مبهجون . فإذا جاء فصل الخريف وحلت الشمس في برج الميزان فهناك يتبدل الليل والنهار ثم يأخذ النهار في القصر والليل في العلول وتكون الدنيا أشبه بامرأة هرملة ولها شبابها وأدبرت أيامها وساءت حالها فإذا جاء فصل الشتاء وحلت الشمس في برج الجدى فهناك تدخل الحيات في أوكارها وتتوارى الحشرات في بيوتها وتقف الحركات ويحجم السكون على أرجائها وتكون الدنيا أشبه بمنحة هامدة لا حراك لها وهكذا تبقى حتى إذا جاء فصل الربيع وحلت الشمس برج الحمل وهكذا دواليك كما قال تعالى : « الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء » فهذا نفسه هو حكم الانسان فهو في أول حياته كالبرق إذا أشرقت الشمس وهو في شبابه كالشمس في ضحاها نهارا وفي استوائه رجلا كاملا كالشمس إذا توسعت كبد السماء وكان الزوال فإذا أدرج شبابه وأقبل هرمه كان كالشمس إذا أذنت بالغيث وفارقت أهل الأرض وهم لها واهمون وهكذا

صباه أشبه بفصل الربيع وفنوته واستوائه رجلاً أشبه بوقت الزوال فأذا ولى زمانه وشابت مفارقة وأحلت مقاصله واصغر لونه كان أشبه بالسنة إذا حل فصل الخريف وأخذت تنحل عراها وأضمت قواها فأذا ماجل في الرمن وودعوه كالأمس كانت كفصل الشتاء وهكذا دواليك . ومثل ذلك الأمم : -

١ - فلها ولادة كولد الإنسان تبدأ فيها بقراءة تواريخ الأمم ودراسة الآثار وتضرب الأمانال كالطفل إذا ابتدأ يفتح عييه فإنه إذ ذاك يأخذ لبيحت فيها حوله ليتخذ مثالا يقتدى به ومنوالاً يتسج عليه وسبيلاً يتبعه

٢ - ولها أيام فنوة وقوة وعظمة إذا اشتد كاهلها وعظمت مسرتها وقويت شكيمتها كالإنسان أيام فنوته وتنام رجوله وكالسنة في فصل الصيف

٣ - ولها أيام انحطاط وضعف كما تنحط الشمس ذاهبة إلى الغروب في كل يوم وكالشمس تدخل في برج الميزان وتأخذ النهار في القصر والليل في الزيادة

٤ - وأيام موت كموت الإنسان وإقبال الليل وحلول فصل الشتاء .

إذا عرفت هذا فلتعلم أن الأمم كانت أيام النبوة قد اعتراها خمول وضعف كخمول السنين وموتها أيام الشتاء فلما أن ظهر الاسلام نارت العزائم وانتشر العمران وهاجت الأرض وماجت والبنت المدنية فيها كره أخرى إذ تدهورت المدنية القديمة في الفرس والرومان وحلت محلها مدنيات حديثة وأخذ العرب الذين كانوا مبغضين في الصحراء لاجلهم لجم يستخرجون العلوم من مكانها ويدرسون تواريخ الأمم ويقرءون علومها شأن الصبي أيام طفولته والحيوانات في فصل الربيع إذ تخرج من أوكارها وتقوم من أحجارها كأنها مبعوثه من أجدانها منتشرة في الأرض تسعى حثيثاً للحياة . فلما استقر قرار الأمم الإسلامية في أواخر القرن الثاني وقد استتب لهم الملك وعظم شأنهم أخذوا يستمروا ما زرعوا ويحصدون ما أنبت لهم مدنياتهم أيام الدولة الأموية فوقفوا الفتوحات قروناً وقروناً حتى إذا كانت أيام الشيخوخة وأيام الضعف كالشمس وقت العصر والسنة في فصل الخريف أخذت أمم التتار تكتسح هذه الأمم فرجع المسلمون أشبه بفصل الشتاء في السنة والإنسان إذا مات بالنهار إذا أذرب والليل إذا أقبل .

وها هي هذه الأمم الإسلامية اليوم قد أقبلت أيام شبابها وحلت شمسها في برج الحمل وها هم أولاد يبحون في كتب الأمم ويقرءون تاريخها شأن الطفل أيام طفولته . وأمثال هذا التفسير قد ظهر اليوم في إبان صبا الاسلام بعد نوم الأمم الإسلامية في شتاء دهرهم وخمولهم ونومهم العميق ويريد الله أن يوقظهم من كهفهم ويحيى مجددهم بعد موتهم فإذ يقولون ؟ يقرءون أمثال هذه السورة « سورة يس » فإذا يقابلهم في أولها ؟ فأول ما يسمعون منها

فما بالقرآن على صحة الرسالة كالقسم بالجزم إذا هوى على أنه صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى . فهذه تفرغ أسماع المسلمين اليوم فيقول حكماؤهم حقاً إن النجم هو الذى يهدى الضالين السارين فى ظلمات الليل الخائرين فى الصغارى والغفار لا يهتدون سبيلاً ولا يجدون ذليلاً وهكذا سفن البحار تزل فى أمواجها وتضطرب فى شهابها فلا تجد لها واقياً يقبها ولا هادياً يهديها إلا بيت الأبرهه فى النير لهم السبل ويهديهم إلى سواء الصراط فى لجج البحار ، فالنجم فى الصحراء هداية لمسالك الجبال وهو فى البحر هدى للربان . وقوام الهداية تلك البوصلة التى تتجه بالمناطيسية شمالاً وجنوباً منحرفة انحرافاً قليلاً بقوانينها علوم خاصة تعرف الربان الشرق والغرب والشمال والجنوب وهناك يدرس النجوم وأما كتبها فبهدى بها فى ظلمات البحر فهذا هو النجم الذى أقسم الله به حين هوى على أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى ، ولا ريب أن النجم إذا كان فى وسط السماء لا يهدى واتجاهه به إذا هوى ، والقرآن الحكيم فى « سورة يس » هنا يهدى كما يهدى النجم لذلك أقسم به على أنه من المرسلين على صراط مستقيم ، لأن هدايته كهداية النجم وكما أن للنجم علوماً تعرف أما كتبه فى السماء وبوصلة تهدينا إلى طرقه هكذا هذا القرآن لا تتم الهداية به إلا بعلوم وعلوم . فهداية النجم تقتصر معها إلى علوم وهكذا هداية القرآن لا بد معها من علوم والعلوم التى فى هذه السورة وطرق الهداية فيها إلى الصراط المستقيم لا تعدو سنة وسير الشمس فى اليوم وفى السنة وتقام الدول فى أول ظهورها . ألا ترى رعاك الله أن السورة مبدوءة بضرب المثل بأصحاب القرية التى جاءها المرسلون وكان طوفاء أنصار وأعداء وانتهى أمرهم أن غلب الحق الباطل . فهذا سبيل الأمم فى أول ظهورها تقرأ لتتاريخ وتعتبر به كالفصل يحبو ويدرس ما حوله والحيوانات خارجات من مخابئها منتشرات فى فصل الربيع وكالأمم القريبة إذ برغت شمسها أيام النبوة ، وهما هى ذه تعبد سيرتها الأولى إذ أخذت تدرس تواريخ الأمم الغربية السابقة أيام النبوة وتدرس تاريخ الأمم التى حدثت بعد ذلك جيلاً فجيلاً وتنتخرج خلاصتها وتقوم من نوحتها وتستقيظ من رقدتها وتخرج من كهنها ثم يقص الله جل شأنه علينا قصص أصحاب القرية ليقصم عليهم . كلا . والله ألم يقل - واضرب لهم مثلاً - فهذا مجرد مثل والمثل به تكون الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين : حياة الأمم شباب ثم قوة وتنام ثم انحطاط وضعف فى أيام الشباب تقرأ علوم لغاتها وتاريخ أجدادها وتدرس الأمم المحيطة بها فإذا أدركت ذلك كله عرفت أنه لا مناص لها من إدارة شئون هذه الأرض فهناك تفرس الأشجار وتثمر الأنهار وتقرأ العلوم وهذا هو قول الله تعالى - « وآتاهم الأرض المينة أحببناها وأخرجنا منها حبا » وهذا أخذ يكثر الجنات والزروع والثمار والشمس والتمر فهنا فى « هذه السورة » ثلاث درجات -

١ - درجة الاستبفاظ بدراسة الآثار البائدة والأمم الخاملة والأيام الخالية والبحث عن آثارهم في أحجارهم وكنائسهم في قبورهم وأخبارهم في تاريخهم وهناك بعض من « بالحسرة على العباد ما بأنهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » بعد ما سمعوا أن صيحة واحدة أخذتهم فإذا هم خاملون فعمود الأمم أعقبتها الحسرة عليهم فتوارى الخ الأمم للاعتبار بجرادتها وللاعتناء بعلومها .

فإذا سمعنا الله يضرب لنا مثلا بأصحاب القرية فليقل نحن ما أكثر الأمثال . هذه الأمم الإسلامية التي خلقت تلك الأمم البائدة فلما عرضت وقت مشجرة وذمبت كأمس الدابر . فهذه دولة العرب في الشرق ذهبت ورحبها وخر عليها القف من فوقها إذ أبادها التتار وكذلك لما تخاذلوا في بلاد الأندلس سلطت عليهم الجيوش الجاراة من أمم الفرنجة رغم غافلون فأخرجوهم من أوروبا وهؤلاء أبناءهم مشتتون في طول الأرض وعرضها وسببهم الله شملهم كما جمع شمل آبائهم بظهور الإسلام في توبه القشيب مرة أخرى .

تخاذل المسلمون في الأندلس وكانت لهم ٢٠ دولة رغم جاهلون بمن حولهم وقد انهمروا في التعميم وذاقوا سوء المصير وما هي ذى قارة أستراليا دخلها الفاتحون فافرض العنصر الأصلي في البلاد إلا قليلا وهكذا أهل أمريكا الأصليون وهم الجر المتوحشون هائم أولاء أخذوا ينقرضون أمام المحتلين .

هذه نبذة يسيرة ذكرتها هنا اقتداء بالكتاب العزيز إذ ضرب لنا مثلا فأنبهناه . أمثال تبيننا للقرآن وتذكيرا بالقرآن لأن الله يقول - « لا بين للناس ما نزل إليهم » وأنهم يتفكرون » فيمثل هذا يكون التمسك وبمثل هذا يكون التنبأ فهذه هي الدرجة الأولى درجة الاستبفاظ

ب - أما الدرجة الثانية فأنها آتية بعد عدة سنين في الأمم الإسلامية وقد ظهرت بوادها وفيها تمام أمرهم وإليها الإشارة بقوله - وآتية لهم الأرض المبتة أحيينها - الخ فهذه الدرجة أشبه بالتحلية بعد النخلة . فالأمم تتخلى أولا عن الجهالة وتبذل الكسل وتعتبر بالأمم الخالية ويعقب هذا الدور دور العمل . إذن الأمم الإسلامية اليوم أشبه بآبائنا أيام ظهور النبوة فنحن اليوم كأبائنا أيام الصحابة وأيام النبوة ابتدأنا حياة جديدة نراها آخذة في النمو والاستبفاظ في مصر والشام والعراق وفارس والهند وبلاد جاوه والملايو وهذه كذلك تماما . فهم أولاء أخذوا يقرءون تاريخ أسلافهم وتاريخ الأمم ولا يحبس لهم من تولى زعامة الأمم وقيادتها كما قادها آبائهم وكانوا نبراسا للأمم كأيام الدولة العباسية .

ج - أما الدرجة الثالثة فهي أيام التنازع والذوال وهي المذكورة في هذه السورة من التنازع في العصور وانقسام الناس فريقين فرق في الجنة وفريق في السعير .

ومن عجب أن الرحمة المذكورة في آية البسملة أحاطت بهذه الأقسام الثلاثة فبينما نجد الاعتبار بالأم في أول السورة بقوله تعالى - «نزيل العزيز الرحيم» إذا أنت ترى دخول الجنة مشمولاً بها إذ يقال لهم - «سلام قولاً من ربهم» - فالرحمة في الاعتبار بالأم البائدة المضروبة لنا أمثالا كالرحمة في اقتطاف ثمرات الأعمال في الجنان وشرب الرحيق المختوم ختامه مسك هناك ، فإذا قرأنا فارح اليائسين فذلك من رحمة الرحمن الرحيم وهي الدرجة الأولى . وإذا غرسنا الأشجار ونظمنا الحفول وقطفنا الأبرار وجنينا الثمار فذلك من رحمته وإذا دخلنا الجنان وشربنا شراب الحبيب من كأس كان مزاجها زنجبيلا فذلك من الرحمت . إذن الرحمة في الاعتبار بالأم وفي السعادة في الحياة وفي سعادة الجنات واحدة ، لذلك ابتدأ السورة بقوله «بسم الله الرحمن الرحيم»

طنطاوى جوهري

نخائر الأدب العربي

قبل أن امرأة أبي الأسود خاصمته إلى زياد في ولدها فقالت : أيها الأمير : إن هذا يريد أن يغلبني على ولدي وقد كان يطني له وطأ ويدي له سقاء وحجري له فناء فقال أبو الأسود : بهذا تريد أن تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل أن تحلبه ووضعت قبل أن تضعيه . فقالت إلك حملته خفيفاً وحملته ثقيلاً ووضعت شهوة ووضعت كرها . فقال له زياد : إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع ابنها إليها فأخلق أن تحسن أدبه

قال رجل لعمر بن الخطاب : إن فلانا رجل صدق . قال . سافرت معه ؟ قال . لا . قال . فكانت بينك وبينه خصومة ؟ قال . لا . قال فهل اتفقت على شيء ؟ قال : لا . قال فأنت الذي لا علم لك به أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد

اصمحر محمد زواره

ادويحة . كدف الشبح

رجاء

ترجو أن يتفضل حضرات السكاكين بأرسال ما يسطره براعهم قبل اليوم العاشر من كل شهر ، ليستطيع القارئون بأمر الصحيفة إعداد ما يستطيع من المقالات في الوقت الملائم مع ملاحظة أن الرسائل لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر

التربية الإسلامية والتعليم الإسلامى

للأستاذ العلامة السيد رشيد رضا

كلمات خففتان على اللسان فقبلتان في الميزان تولكهما الألسنة والأفلام ويجولان في جميع الأذهان ويتحدث بهما الرجال والنساء والولدان وقد أجمع الناس في هذا الزمان على أنهما مصدر السعادة للبيوت (العائلات) والشعوب أفرادها وجملة ما ولو سألت كل فرد من أفراد هؤلاء الناس عن هذا الأجاع لأجاب بأنه حق لأرب فيه ، وأنه من القضايا الضرورية التي لا يتوقف الحكم بها على برهان ولا دليل

نعم إنك لو سألت كل واحد من هؤلاء عن تفسير هاتين الكلمتين وتفسير كلمة السعادة وعن الرابط بينهما وبينها الذي كانا بها علة أو سببا ، وكانت هي معلولة ومسببا ، أو سألته عما هو معروف الآن لكل مطلع على أحوال البيوت (العائلات) في بيده ؛ وأحوال الشعوب التي تشرحها جرائدها وتفسرها في العالم ، وعن تطبيق تلك القاعدة الاجتماعية عليها في جملة أو في تفصيل ما تشكو منه وتقصه من أنواع الشقاء في مصالحها الأدبية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بل لو سألته عن أفقار وقائع المظالم والظلمات والظلمات فيها - هل وقع بفعل أناس من الأميين ومن على مقربة منهم ممن لم ينح لهم إلا التعليم الابتدائي أو الثانوي - لأجابك كل واحد عن السؤال الأخير بأن كل ما ذكرت من أنواع الجرائم الكبرى لم يقره إلا النابغون في التعليم العالي وما يلبه ، يجيبك عن هذا لأنه هو القاطن المعلوم بالمشاهدة المنقول بالتواتر ، ولكنه يعجز عن الجواب عما قبله من فائدة التربية والتعليم ، ومن معنى السعادة ، ومن الوسط الرابط بينهما ، لأن هذه كلها قضايا نظرية كان يقلد غيره فيها ويبدد المسلمات من الضروريات .

معنى كل من هاتين الكلمتين يختلف باختلاف متعلقه والغرض منه وكونه على مناهج يؤدي إلى الغرض أو يقرطس في الهدف

التربية تنشئة قوى الإنسان الجسدية والعقلية والروحية بما ترعونه وتنمونه وترعونه حتى تبلغ كلها الشخص في محيط الملة والأمة له ، فمن أعمالها ما هو مفيد لكل أفراد الناس لأنه لا يختلف باختلاف الأقوام في مقوماتها الملية ومشخصاتها الوطنية ، كالتربية البدنية المبني على قواعد الصحة في الغذاء والنظافة والرياضة ؛ ومنها ما يختلف اختلافاً واسع المسافة بمبدأ الشقة ، فما يمد به بعض زعماء الأقوام والأمم مصالحة يمد به غيرهم من أكبر المفاسد ؛ وتفصيل ذلك يطول وليس من موضوعنا الآن والتعليم تلقي العلم الذي يساعد التربية على

تكوين الإنسان وهو كالتربية، منه مالا بد منه لجميع الناس في كل زمان ومكان، ومنه ما يختلف الحاجة إليه باختلاف الأطوار والأحوال، وحاجة الأفرام والأرطان، والأصل فيه أن يعلم النفس ما يرسده إلى العمل الذي لا بد له منه في حياته الشخصية والمنزلية والوطنية الخ.

التعليم إفاضة العلم، والعلم بيان للعمل صفته وإتقانه. وأما الباعث للعامل على العمل بعلمه فهو ثمرة تربية النفس على ما يوجهها إلى طلب منافعها ومصلحتها الحسية والمعنوية، أو المادية والأدبية - كما يقول كتاب عصرنا - أو إلى ما فيه الخير لها في المعاش والمعاد كما يقول علماء الدين، فمنفعة التعلم رهينة بحسن التربية،

وهذه المباحث كلها طوية الدبول، مندفقة السيول، وإنما أشرت تمهيداً للمساءلة عن التربية الإسلامية والتعليم الإسلامي ماها وأين يوجدان في هذا القطر؟ أوجدان في بيوت المسلمين كافة، أو بيوت بعض الطبقات منهم؟ أوجدان في مدارس وزارة المعارف ومدارس الأوقاف المملكية، ومدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، أو المدارس الحرة؟ أوجدان في مدارس المعاهد الدينية الأزهر وعلحقاته؟

الذي أعلمه أنا لا يوجد في بيوت المسلمين ولا في المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا في المعاهد الدينية تربية إسلامية مدونة أو متبعة بالعمل في تنشئة أطفالهم في البيوت ثم تلاميذهم في المدارس والمعاهد على أخلاق الإسلام وآدابه وعبادته كالصدق والحرية والحياء والأمانة وعزة النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والافتصاد والترحام واجتناب البذاء والفحش في القول الخ حتى يترعرع ويشب معتقداً أن المسلم بأسلامه أعز الناس تقياً وأجلهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب الخير للناس كافة وأنه يجب بذلك أن يكون قدوة لهم في كل فضيلة وعادة وحمل ولا يلقى به أن يكون تابعاً ومقلداً لقوم آخرين فيما يعد تفضيلاً لهم على قومه، مع اعترافه لسكل ذي حق بحقه وكل ذي فضل بفضله وبرامته من كل ما فاشا في قومه من البدع والخرافات والعادات الضارة، والسعي لأزالتها عندما يكون أهلاً لذلك، ولكن يوجد في بعض البيوت بقايا متبعة من ذلك.

وأما تربية المدارس فروحها تفرنج يقتل الاسم قتلاً بتفضيل كل ما هو أفرنجي على ما يخالفه من عقائد الإسلام وشعائره وعبادته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته، وحديثك أن الصلاة التي هي عمود الإسلام وعنوانه ومثلية الإيمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها فلا يطالب بها أحد، كما أنها غير محرمة عليهم بحيث يمنع منها من أرادها في غير وقت الدرس. وقد أجمع المسلمون سلفهم وخلفهم على أن من استحل ترك الصلاة يكون مرتداً عن الإسلام لا يشارك المسلمين في شيء من أحكامهم من أدب وزواج ولا بدفن

في مقابرهم وإن كان متزوجا انفسخ عقد زواجه بل يجب على الحكومة الإسلامية استنابته
فأن لم يتب ذنل كفرا . وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن من غير مستحل فأهون مآله
الفقهاء فيه أن يحبس حتى يتوب .

كذلك الصيام اختياري في مدارس الحكومة المصرية وهو من أركان الإسلام من
استحل تركه كفر .

وقد اتفق أن جنى المدرسة البنات السنية على عهد مستر دانلوب المسيطر على
وزارة المعارف بإفارة أنكليزية بمن تربيين حرية طالبة فلما كتبت تقريرها المعتاد
في آخر السنة المدرسية اقترحت فيه على الوزارة إلزام جميع من يتعلم فيها من البنات أن
يتعلمن عقائد الدين الإسلامي وأحكامه ويؤدين عبادته من صلاة وصيام ، وعملت ذلك بأن
عاقبة هؤلاء البنات أن يكن أمهات مربيات انفس الأمة ولا يصلح للتربية إلا الام
المتدينة الصالحة لأن تكون قدوة ولذلك أجمعت الام كلها على تربية البنات تربية دينية علمية
صلحية « قالت » .. ولما كان في هذه البلاد ثلاثة أديان كلها تأمر بعبادة الله وبالتحلي بالفضائل
واجتناب الرذائل وهي الإسلام والنصرانية واليهودية ، ولما كان اختلاف التعليم الديني
مضرا بالتربية ومغلا بوحدة الأمة ، وكان الإسلام هو دين الأكثرية الغالبة وجب جعله
هو الدين الذي يبنى على أساسه نظام التعليم والتربية في هذه المدرسة ، فأنا اقترح جعله
رسميا إلزاميا فيها . »

أندري أيها القارئ ما فعلت وزارة المعارف بهذا التقرير ؟ لعلك تعلم أن مستر دانلوب
قد عزل هذه الإفارة عزلا ، وحفظ تقريرها أو مزقه تمزيقا .

جميع المدارس تسمير وراء وزارة المعارف في تربيتها وتعليمها حتى مدارس الاوقات
الملكية ، وكذا مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان غرضها الوحيد على عهد رئيسها
الأستاذ الامام ومديرها حسن باشا حاصم (تنفمدها الله برحمته) تربية أولاد الفقراء من
المسلمين تربية إسلامية خالصة وتعليمهم مالا بد منه لكل مسلم من عقائده دينه وأحكامه
وأدابه مع مبادئ لغته وسائر ما يلقن في المدارس الابتدائية من حساب وغيره ، وغاية ذلك
كله أن يكون أولاد الطبقات الفقيرة من المسلمين كما يجب أن يكون المسلم في أدبه وصدقه
وأمانته وموضع الثقة في عمله أيأ كان .

وأما الثمرة العامة لتربية البنات وتعليمهن فأنك ترى النساء بعينك في الأسواق والشوارع
والجبال والمجامع ، والملاعب والمرافض والمراسح ، وفي الحمامات البحرية ، فقد بلتن من
الجلالة والرعاة بل الإباحة دركا صار يستقذره الكتاب الإباحيون الذين دعوا إليه من قبل ؛
ألغت كتابا في حقوق النساء في الإسلام أثبت فيه أن الإسلام كرمهن وأعطاهن من

الحقوق الدينية والمدنية والسياسية ما لم يسبقه إلى مثله أو ما يقرب منه دين من الأديان ، ولم يبلغ شأوه فيه قانون ولا نظام ، وسميته (نداء للجنس اللطيف الخ) فقرضته الصحف وصرحت بأنه لم يكتب مثله في موضوعه ، فلم يبلغنى أن جمعية نسائية ولا امرأة مسلمة طلبت الاطلاع على هذا الكتاب .

بل أهديته إلى كاتبة أدبية مسلمة ينشر لها بعض الصحف رسالات كثيرة في الآداب والعادات وغيرها ، فقرضته تقريناً حسناً ، ورغبت المتعلمات في قراءته بقولها : أن مؤلفه يبذل لكل من يطلبه منهن بدون ثمن ، فلم يطلبه منهن أحد .

وإذا كان هذا شأن من يتعلم ويتربى في المدارس التي أنشأ إسلامية فأراك فيمن يتعلم في مدارس جمعيات التنصير وراعيات الكاثوليك ، إن هؤلاء يحتقرن الإسلام وكل من ينتمى إليه يحتقرن لغته أيضاً ، روت طالبة سورية في مدرسة أميركانية أن زميلتين لها من بنات باشوات مصر قالتا لها وقد كلمتهن باللغة العربية . كيف ترضين أن تتكلمى بهذه اللغة القذرة ! ! !

حسبي فقد طال على القول في بعض الموضوع ولم يبق لي طاقة على إتمامه اليوم ولعلني أعود إلى إتمامه في فرصة أخرى .

محمد رشيد رضا
مفتي دار

الإمام علي بن أبي طالب

قال معاوية لضرار الصداقي : يا ضرار صف لي علياً ، قال : اعني يا أمير المؤمنين قال لتصفنه قال : أما إذا لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى بشديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنبثق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته وكان والله عزيز العبدة طويل الفكرة يقلب كفه ويخطب نفسه ، يعجبه من القباس ما قصر ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا يجيئنا إذا سألناه وينبئنا إذا استبأناه ونحن مع تقريبيه إيانا وقربه منا لانكاد نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته يعظم أهل الدين ويحب المساكين وأشهد لقد رأيت وقد مثل في محرابه قابضاً على لحية يعمل بعمل السليم ويكي بكاء الحزين ويقول : يا دنيا إليك عني ، غري غيري ألي تعرضت أم إلى تشوقت ؟ هيأت هيأت ا قيد بابنتك فلانا لارجمة فيها فعمرك قصير وخطرك حقيق وخطبك يسير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق : فبكى معاوية حتى أحضلت دموعه لحية وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك فكيف خزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحداً في حجرها

التربية الدينية وكيف تكون .

ليس من شك في أن كل من زاول مهنة التعليم وعانى أمر التربية والتهذيب ، يعلم علم اليقين أن الطفل يحتاج دأماً إلى من يساعده في تقويم أخلاقه وتسييد خطواته ، وأن تركه للطبيعة تنشئه كيف تشاء لا يأتي بالنتيجة المرجوة من شرف الأخلاق وجمال الصفات ، ولذلك أجمعت آراء العقلاء على فائدة التربية وضرورتها . وهذا ما بينت أن طبيعة الإنسان تحتاج إلى من يقعد إصلاحها في أذوار طفولته وحدثاته وشيئته .

ولما كان الآباء والمربون لا يستطيعون ملازمة الولد في كل لحظة لتربيته عن السيئات ، وجب أن يكون له مرشد داخلي يحارب فيه الأفعال الشريرة ، وينمي فيه الغرائز الشريفة ، ويحثه على القيام بواجباته ، مولداً في قلبه حب الفضائل والنفور من الأذائل . وقد يظن كثير من الناس ألا داعي لضرورة التدين وتوجيه ذهن الطفل إليه بصفة خاصة اعتقاداً منهم بأن التربية الدينية مندرجة في التربية الحسنة القائمة على قوائم الفضيلة بحيث أننا لو مهينا أولادنا عن الشر يكون ذلك كافياً لمنهم من الوقوع فيه . ولكني أقول بأن هذه التربية لا تكفي وحدها في تقويم أعوجاج الولد وتربيته التربية الدينية الصالحة لأسباب كثيرة ، أهمها أن العقول ليست في مستوى واحد من حيث القوة على إدراك عظمة الفضيلة وجمال التحلى بها ، وليس سوى العقول الكبيرة التي تدرك فضل الأعمال الجليلة والصفات السامية أما ذوو العقول الضعيفة والأطفال ، فقلما تؤثر فيهم التربية الخالية من سلطان الدين الذي يحمل الإصلاح من أول واجباتهم مهدداً بإعاقب العقاب الصارم إن هم شذوا عن قواعد المستونة .

ومعلوم أن الطفل كالبجينة اللينة أو العنبر الرطب ، فإذا لم نعين بهذيبه وتوجيهه وتنشئته على الفضائل منذ الصغر ، يس على أعوجاجه ولم تعد التربية بعدئذ في استئصال الشر منه ، ويكون الأمل في تفعه بعد ذلك ضعيفاً . والطفل كما قدمنا لا يستطيع بقصور عقله وضعف إرادته أن يدرك معنى الفضيلة إلا إذا استولى سلطان الدين على أفكاره واستحوذ على مشاعره ، فإذا كبر ورأى أن قيمة الفضيلة تزيد حيناً يعتنقها المرء في أي مكان وزمان ، فإنه يتبعها بلا شك ، وحينئذ لا تكون التربية الدينية التي اكتسبها في الصغر قد أضرت به بل على العكس يكون الفضل راجعاً إليها فيما أخرجه من جين المبادئ وصالح النفس ومما كانت التربية حسنة في ذاتها فأننا لا نستطيع أن نصل بها إلى درجة من الكمال تمنعنا عن الاستماتة بالدين في تهذيب أبنائنا ، ليس في هذا العصر فقط حيث الجهل لا يزال

فانسيا ، والتربية غير معنى بها ، بل في أرقى العصور وفي كل زمان من الأزمنة ، لأن التربية الصحيحة السكاملة في رأى علمائنا الماديين هي ما قامت على علم صحيح كامل ، والعلم لا يمكن أن يتوزع في يوم من الأيام على عموم الناس مهما بلغوا من المدنية ما دامات الحياة الاجتماعية تتطلب لنفسها غير العالمين من الزارعين والعمال وأصحاب المهن البسيطة والحرف الدينية وغيرهم من لا يحتاجون إلى علم واسع في حياتهم العملية ، وهكذا تقال التربية عامة

أما الدين فإنه ينتشر بين الجبهة والأمين كما ينتشر بين المتأديين والمتعلمين ، فيهدب قوسهم جميعا ، بل إن تأثيره في الفئة الأولى يكون أعظم ، بدليل ما راه من زيادة تقوى البسطاء . نعم إن هؤلاء يختلفون عن الطوائف الراقية المفكرة بأنهم يستسلمون لأحكام الدين استسلاما أعمى ، ولكن ماذا يضر ذلك بهم أو يسائر الناس ما دامت النتيجة في النهاية حسنة والغاية المطلوبة محققة ، وهي منع أضرارهم عن الآخرين وأسرهم بالمعروف والإحسان وهل تمت من فائدة ترجى من التربية أفضل من هذه ؟ ذلك فضلا عما يشعر به المؤمن من لذة الإيمان وجمال الآمال في الحياة الأخرى ، وتخفيف عبء الانكباب في الحياة الحاضرة .

ولنا في تاريخ الأقدمين أكبر عظة حيث كانت الوثنية ضاربة أطنابها بين الأمم ، ناشرة جناحيها عليها ، فأبى المدنية الراقية التي وصل إليها الرومان وغيرهم في العصور اللاحقة لم تقدم أدبا وحلما ، ولا منعت الجور والحيف أن يقع عليهم فيجعل حياتهم موتا أدبيا ! وما قدمت تظهر فائدة الدين فجوع الأمم وأنه يستحيل علينا بدونه أن نحيا حياة أدبية تميزنا عن الحيوان ، وعليه يجب أن تبذل الوسائل الفعالة في تحبيب الناس في الدين واجتذابهم إلى حظيرته : باعتباره أصلا من أصول التربية ، ودعامة من دعائمه التي تقوم عليها أفرعها من فروعه ، وذلك لا يتم طيبا بالقوة ولا بالخلق ولا بالوعيد ، وإنما يتم بتهديب الأدب ونظهيرها من كل مالا يقبله العقل السليم من الترهات والسفاسف التي تشوه جمالها وتفض من قدرها ، وتكون السبب الأكبر في نفور الناس منها وإزدراءهم لها ، وببث الأخلاق الفاضلة في النفوس بطريق العبارة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة ، وبتكوين المعتقدات الصحيحة ، واستخدام الملاحظة الصادقة في استنباط المعتقدات الدينية من مظاهر الطبيعة وبدائع المخالقات ، وإطلاع الناشئين على الأحكام الدينية والأمر التعميدية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية وحملهم على اتباعها واحترامها .. الخ وفي اعتقادي أن هذه الطريقة وما شاكلها خير من التنبيه إلى اتباع الفضائل واجتناب الرذائل سردا وتلقينا لأنها أوقع في النفس ، وأصلح للحرص ، وأدعى إلى العمل وأقرب إلى مدارك الأطفال ؟

محمد إبراهيم عبر الله
رئيس مدرسة مجلة روح الازالية